البنية السوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة في جماليات التعالق مع الموروث الشعبي

The Socionic Structure in the Contemporary Algerian Novel Reading in the aesthetics of the relationship with the popular heritage

خميس نادية*

قسم اللغة العربية وآدابها–جامعةباتنة1

https://orcid.org/0009-0009-1100-7594

email: Nadia.khemis@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال: 2023-03-28 **تاريخ القبول:** 2023-05-18

ملخص:

تتأسس الرؤية في هذه الورقة البحثية على البناء السوسيو نصي للرواية الجزائرية المعاصرة الذي ينطلق من البناء الاجتماعي للواقع المعيش، و يتكئ على البناء الاجتماعي للحكاية التراثية لأجل انتقاد المظاهر السلبية في المجتمع واسترجاع القيم المثالية من المجتمع التخييلي حتى يتم غرسها من جديد في الواقع لغرض التغيير. لذلك ستنبثق الإشكالية عن طرح مفاده ما الآليات التي وظفتها الرواية لبلوغ وعي اجتماعي اديولوجي عبر ثوبها التخيلي الجمالي؟

الكلمات المفتاحية:رواية؛ جزائرية؛ سوسيونصية؛ تعالق؛ موروث شعبي.

Abstract:

The vision in this paper is based on the socio-textual structure of the contemporary Algerian novel, which stems from the social structure of the lived reality, and relies on the social structure of the traditional tale in order to criticize negative manifestations in society and retrieve ideal values from the imaginary society so that they can be re-instilled in reality for the purpose of change. Therefore, the problem will emerge from the proposition that what are the mechanisms employed by the novel to achieve an ideological social awareness through its aesthetic imaginary dress?

Keywords:novel; Algerian; socionics; interdependence; popular heritage

***المؤلف المراسل**

مقدمة:

تنطلق فكرة التعالق بين الرواية الجديدة والموروث الشعبي من الواقع الاجتماعي بتوظيفه فيما يعرف بالبنية السوسيونصية[1] للرواية أين تمتزج مع بنية تراثية يستقي الكاتب مادتها من الحكايات التراثية.

وينطلق البناء السوسيو نصي للرواية من البناء الاجتماعي للواقع المعيش،عبر فعل الارتداد نحو الموروث والامتداد به كوعي نحو الواقع المعيش بتفعيل آليات المنهج السوسيونصي حيث يتم استقراء البنى الاجتماعية في علاقتها بالبنى الفكرية والنفسية لدى المبدع وتأثير كل هذه البنى على العمل الأدبي (الرواية المعاصرة) وفق رؤية تحليلية يتم بموجبها وضع خطاطة ذهنية لمجتمع افتراضي نابع من مجتمع واقعي.

غير أن هذه المقابلة المباشرة بين العمل الروائي وما نسميه (واقع المجتمع)، مقابلة غير ممكنة لأننا في الواقع حتى عندما ندعي إمكانية قيام هذه المقابلة فإننا لا نفعل شيئا آخر سوى أننا نقابل بين مضمون الرواية وتصورنا نحن عن الواقع، وهنا تصبح العملية النقدية متصلة اتصالا حميما بتصور الكاتب للواقع ورؤيته الخاصة للعالم.

هذه الرؤية التي لا بد أن يكون الكاتب الروائي قد اكتسبها من فكر الجماعة التي ينتمي إليها[2]، أين تظهر الصنعة التخييلية للمبدع، وقدرته التصويرية واستراتيجيته الفنية في التعبير عن أفكاره بإنشاء عوالم فكرية تولدت من صميم تأملاته لواقعه[3]وهي واحدة من الاستراتيجيات التي يتحقق بها وجود التعالق النصي.

---

[1]-البنية السوسيونصية أو علم اجتماع النص هو"العلم الذي يهتم بمسألة معرفة كيف تتجسد القضايا الاجتماعية في المستويات الدلالية السردية للنص،وليس النص الأدبي فحسب بل يتجاوز الاهتمام إلى البنى اللغوية (الخطابية) للنصوص النظرية والاديولوجية وغيرها".

ينظر صلاح أحمد،(2008)، علم اجتماع النص الأدبي،مفاهيم نظرية وأدوات منهجية،مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكريةع43، ص6

[2]-حيميد الحمداني،(1984)، من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية رواية المعلم علي نموذجا،منشورات الجامعة،السلسلة الأدبية 3ع، ص11.

[3]-لمين بحري،دلالات الأنساق الثقافية لمنظومة الوقائع التخييلية في رواية ما بعد التسعينيات للطاهر وطار،صhttp//ouvrages du crasc.dz4

لقد عمدت الرواية الجزائرية المعاصرة إلى استخدام إستراتيجية التعالق حينما تتغلغل في الرحم التاريخي متخذة إياه مرجعا زمنيا يعكس بوجه أو بآخر المخيال/التاريخ الاجتماعي"وهذه الديمومة المتحققة مخياليا تمكن النص من التفاعل مع مختلف أزمنة القراءة السابقة والراهنة واللاحقة الممكنة فتضحى لكل شخصية حداثية لتكوين قرينتها الزمنية ذات الأصل التراثي كمرجعية اجتماعية وتاريخية شكلت تاريخها عبر عصور عدة"[1].

وعليه تنشأ البنية السوسيونصية التي اختارتها الرواية الجزائرية كآلية للاشتغال بالتراث عن طريق توظيف بنى اجتماعية تراثية على بنى اجتماعية واقعية تتولد عبر كفاءة انتاجية في النص الروائي شكلت نقدا مبطنا للواقع عبر توظيف تخيلي لعالم يفترض أن يكون بدل ما هو كائن، فكان الوعي بالتاريخي والاجتماعي وعيا بالواقع وأساس كل ذلك آلية المماثلة إنها "تمثيل لجدل التفاعل مع النص والواقع الذاتي والعصر..،إنها أخيرا تعبير عن جدل الإبداع الروائي في تفاعله مع التاريخ والواقع،وفي طريقة التفاعل هذه وفي أبعادها تتجسد نصية الرواية العربية الجديدة وإبداعيتها وخصوصيتها"[2].

وستركز هذه المقاربة على الآليات التي اعتمدتها بعض الروايات الجزائرية ،يتم بموجبها توجيه الأحداث التاريخية أو الواقعية في شكل فني وفق ما يستدعيه منظور الرؤية السردية الجديدة؛إذ برزت أعمال فنية أفلحت في نقد راهن الذات عبر "القصة بما تحتويه من شخصيات وأحداث و فضاءات وأزمنة تكون لها مرجعيتها في الواقع أحيانا كثيرة..وعلاقات وقيم اجتماعية وتاريخية محددة""[3]،فكان للأنساق الثقافية على اختلافها أن كانت حجر بناء لنسق روائي جديد حقق بالقوة أنتروبولوجيا الرواية الجزائرية المعاصرة،بوصفها شكلا من أشكال الوعي التي "لابد أن يكون لها ارتباط بأحد التصورات للتاريخ؛بمعنى أنها لا ترتبط بالتاريخ ذاته ،ولكنها ترتبط بأحد التصورات الموجودة عنه"[4].

---

[1]-م س،ص13.

[2]-سعيد يقطين،(2006)، الرواية والتراث السردي(من أجل وعي جديد بالتراث)،ط1،دار رؤية للنشر والتوزيع القاهرة ،ص221.

[3]-سعيد يقطين، (2001)، انفتاح النص الروائي النص والسياق،ط2، المركز العربي الثقافي المغرب، ص135.

[4]-حميد الحمداني، من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية رواية المعلم علي نموذجا،ص25.

وطبيعة الدراسة تحتم على البحث التسلح بآليات المنهج الحفري بالاستناد إلى أدواته التحليلية قصد معاينة الإشكالية والبحث عن حلول لها.

1-الأبعاد الإجرائية السوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة:

ينطلق عالم اجتماع النص بيرزيما"PierreZima" من فكرة مفادها أن البنى الدلالية الكامنة خلف الخطاب هي التي تنطوي على المصالح الاجتماعية، وفي الوقت نفسه تحدد الاتجاه العام لمسار النص السردي[1].وهذه البنى تتمظهر عبر اللغة التي تترجمها النصوص كأعمال أدبية ،ولا يتحقق وصف كهذا –بحسب زيما- إلا إذا ظهر الأدب و المجتمع في منظور لغوي[2] يختزل الظواهر الاجتماعية في أخرى نصية.

وهو ماستحاول هذه المقاربة إبرازه على مستوى نماذج من الروايات الجزائرية المعاصرة.

1-1-واسيني الأعرج الانبعاث التاريخي وإعادة إنتاج المعنى:

كان للانبعاث التاريخي حضور بارز في روايات واسيني الأعرج حيث أفلح في إيجاد التفاعل بين طروحات شعبية بمرجعياتها الاديولوجية المختلفة ونصوص تاريخية شكلت لحمة نصوصه التخييلية المنفتحة على التأويل من خلال استنطاق البنى العميقة.

لقد انطلق واسيني الأعرج من منطلق نقدي عبر فعل استرجاعي في الذاكرة التاريخية والتراثية لتمرير رسالته الاديولوجية عبر سرد تخييلي حامل لمعاني جديدة.

وقد اتبع الروائي إستراتيجية خاصة أظهر فيها مدى اهتمامه بالتاريخ وحرصه الشديد على استعارة أحداثه وشخصياته ليحورها إلى فعل إنتاجي إبداعي .و اكتسب الروائي هذه القدرة الاستنطاقية للموروث والتاريخ من رؤيته الواسعة بوصفه مثقفا يحمل أكثر من أبناء بيئته هموم واقع اجتماعي وحاضر مادي، بقدرة الخوف في المعارف الماضية التي حملها التاريخ الإنساني واطلاعه على المعارف الجديدة التي يحملها الواقع

[1]-ينظر بيير زيما،(1990)،النقد الاجتماعي،تر عائدة لطفي،دار الفكر للدراسات والنشر القاهرة،ص26.

[2]-ينظر بيير زيما،النقد الاجتماعي، ،ص172.

الحياتي،فشكل وجهة نظر مزدوجة جعلته قادرا على تصنيف القيم الماضية والحاضرة إلى قيم ايجابية وسلبية[1].

لقد انطلق الأعرج من فكرة المتخيل التاريخي بمفارقاتها الموحية على المقاطعة بين المتخيل بما فيه من دلالة المجاز والمفتعل وبين التاريخ بما هو حدث وواقع، فكان لفعل التمثل بعد إنتاجي شكل مادة تخييلية جامعة .

ففي رواية"الأمير-مسالك أبواب الحديد[2] نقل واسيني الأعرج الأحداث من إطارها الواقعي إلى مادة محكية: قام فيها باستدعاء الموروث التاريخي ومادته الحكائية ليس بطريقة تراتبية تسلسلية ،وإنما وفق أطر الكتابة الجديدة ،حيث لجأ إلى منطق التحوير الزمني عبر تقنية تكسير القالب التسلسلي للأحداث بما يتلاءم ووجهة نظر الرواية وتوجهاتها الاديولوجية.

لقد سعى الأعرج من خلال رواية الأمير أن يجسد فنيا إجابته حين سئل"لماذا هذا الإقبال من طرف القراء على الرواية التاريخية؟فأجاب يقبلون عليها لأنهم لا يثقون في التاريخ"[3]

فهذه الإجابة حملته على إعادة بعث شخصية الأمير بحمولتها التاريخية وإعادة ضخ دماء جديدة في الثائر الجزائري عبر حبكة فنية أراد من خلالها قول ما لم يقله التاريخ؛ بإعادة كتابة التاريخ العام للجزائر لا التاريخ الشخصي للبطل عبد القادر فقط[4] بطريقة نقدية وجمالية، انطلاقا من العنوان الفرعي(مسالك أبواب الحديد)؛أي سبل الخروج من السجن؛سجن الأزمات والمتغيرات التي يعيشها الوطن (الأمير)/الأسير كما عاشها الأمير/الأسير.

1-1-1-الرؤية والمصدر التاريخي:

أعاد واسيني الأعرج في رواية الأمير تشكيل الحادثة التاريخية في نص يتموضع داخل سياقات ثقافية متعددة أعادت تشكيل الواقع بإعادة إنتاجه في سياق تركيبي

---

[1]-ينظر نجوى منصوري،(2011-2012)، الموروث السردي في الرواية الجزائرية،روايات الطاهر وطار وواسيني الأعرج نموذجا-مقاربة تحليلية تأويلية،أطروحة دكتوراه (مخطوط)،جامعة باتنة 1،ص76.

[2]-واسيني الأعرج ،(2008)، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ط2، دار الأدب للتوزيع والنشر بيروت .

[3]-ينظر عيسى ناصر ،واسيني الأعرج يعيد كتابة التاريخ روائيا.http//b.logs.aljazeera، 7/12/2017.

[4]-ينظر عيسى ناصر ،واسيني الأعرج يعيد كتابة التاريخ روائياhttp//b.logs.aljazeera.net،7/12/2017

جديد؛ فبالوقوف على العنوان كأول عتبة نجد الكاتب يسمه بأول مظهر في رؤيته حين يخرج من جنس الرواية-على الأقل ظاهريا-وتصنيفه في مصاف الكتب (كتاب الأمير)،وهي رؤية توحي للمتلقي بدءا أنها ربما حكاية عن سيرة ذاتية للأمير عبد القادر تستدعي التراث وتعيد توجيهه، كما تحيل إلى فعل التوثيق والتدوين لشخصية تاريخية تحظى بالمكانة والمحبة عند الأجيال ..لتنقلنا رؤيته إلى أجواء البيعة(بيعة الأمير بالإمارة) وهي أجواء عملت فيها آلة اللغة من خلال التوظيف اللفظي والصيغ السردية الدالة على حضور تاريخي، لكنه حضور يتلبس بمفارقات بين هذه البيعة التي يحفها الجراد، وبيعة النبي صلى الله عليه وسلم التي تحفها الملائكة..؟

يقول واسيني الأعرج: "1832 عام الجراد الأصفر،هكذا كان يسميه العارفون ورجال الزاوية القادرية الآتون من بعيد، منذ الصباح تبدأ فلول الجراد الأولى تتساقط على سهل أغريس مشكلة مظلة سوداء"[1] ،ويتصاعد الحس الدرامي في هذه البيعة حين يتزامن مع إعدام أستاذ الأمير ومرجعه في الفقه شنقا على الملأ: "رفع عبد القادر لحاف برنسه و مسح عينيه.

-تبكي يا بني؟

-لا أمسح الغبار على وجهي، كان الله يرحمه، أستاذي ومرجعي في الفقه ، خسارة كبيرة ألم يكن هناك حل شرعي أقل سوءا من الإعدام؟"[2].

لقد وجهت هذه الأحداث التاريخية فعل القراءة وأثرته برؤية سابقة ، تاركة المتلقي في حيرة في الجمع بين هذه البنى السردية والذاكرة الجمعية التي تحيل إليها تاريخيا و"الأعرج بهذه العتبة بقدر ما أعاد إلى الذهن صورة الأمير في أول نص روائي يكتب حياته، بقدر ما يطلب منا إعادة قراءة الكتاب الذي سيحاول تشكيل ملامح جديدة للأمير، بل ويحركه نحو الأمام ليجتاز نمطية الصورة وإطارها في الأذهان لتتواءم ومنطق التاريخ"[3].

---

[1]-الرواية،ص64

[2]-الرواية،ص67.

[3]-عبد الله بن صفية ،(2016-2017)، المتخيل التاريخي في الرواية الجزائرية،جدلية المرجع والمنجز التاريخي،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم،جامعة باتنة1،ص35.

إنّ كتاب الأمير أعاد تشكيل رؤى جديدة تبطن بنى عميقة أراد الروائي أن يبنيها من التاريخ عبر فعل تحويري أنتج عبر المتخيل نصا جديدا.

و تمظهرت هذه الرؤية في فعل التعالق مع التاريخي عبر الفضاءات الروائية حيث أبرز واسيني الأعرج وعي الأمير بالمكان انطلاقا من أقواله، و أماكن تحركه، بل وحتى في ملبسه "بينما كان متكئا في قراءة القرآن رفع العبد الضخم يده، ولكنه سرعان ما تركها تهوي ، وكأنها كتلة ميتة دون حراك، وينحني عند رجلي الأمير طالبا الصفح عنه..عندما هممت بفعل ذلك رأيت هالة من النور غمرتني، ولم أعد أرى شيئا أبدا"[1]، فالأعرج بهذا التصوير الفني أراد مشاركة القارئ في صناعة الدلالة بإضفاء حس عاطفي على هذا المضمون التاريخي.

كما تزيت هذه الرؤية بلغة رامزة/موحية تستنطق من التاريخي ما تريد التصريح به، إذ وظف الأعرج المتعلقات النصية مدخلا لكل مقطع بلغة تمهيدية واصفة وبرمزية موحية "حامت الغربان على رأس خيالة الأمير قليلا قبل أن تنسحب مجموعات مجموعات صوب الغرب...تحسس الأمير منها فهو يعرف أنها لا تظهر إلا عندما تكون الجثث في مرمى بصرها" [2]، فهدا التصوير لهذه الأحداث التاريخية من شأنه أن يعطي للقارئ خيطا في قدرة كشف معميات الحكاية ومن ثم الوصول إلى مغزاها.

1-1-2-الرؤيا التاريخية وحركية السرد:

كان للرؤيا(الحلم) وظيفة جمالية بفاعليتها الانفتاحية على التاريخ، بحيث أخذت من شخوصه مادة فنية تجاوزت بها عبر تقنية التعالق النصي رؤية نصية جديدة؛

فإذا كان التاريخ الرسمي يكتفي بذكر الأحداث الكبرى دون رسم لمعالم هذه الأحدث أو تشخيص لشخصياتها، فإن تقنية التعالق مع التاريخ وإعادة بعثه لاستقراء الراهن المعيش عملت على تفعيل الأحداث و الشخصيات بمرجعياتها التاريخية لتحيل إلى معان ممتلئة ودالة حسب تعبير فيليب هامون[3] ؛إ ذ عمل السرد في حركيته على

---

[1]-الرواية،ص429.

[2]-الرواية،ص363.

[3]-ينظر فيليب هامون،(1990)،سميولوجيا الشخصيات الروائية،تر سعيد بن كراد،دار الكلام الرباط المغرب،ص24.

إظهار مواطن اللاوعي عند الشخصيات كواجهة خلفية لوعي مقصود يرمي به الراوي في الواجهة الأمامية، فكان الحلم أو الرؤيا رحلة في اللاوعي التاريخي من أجل استنطاق المكبوت، ففي رواية الأمير نقف عند الرؤيا التي رواها والد الأمير في نبوءة إمارة الأمير:

"هل تذكر الرؤيا البغدادية؟

-نعم تحدثنا فيها كثيرا، وبغداد لا تزال ماكثة في ذهني منذ زيارتها..

-لقد عاودتني الرؤيا من جديد بشكل ضاغط ،عاد الهاتف نحوي وهو يصر ويضغط علي"ماذا تنتظر لكي يصير عبد القادر سلطان الغرب؟"[1]

لقد عملت الرؤيا على تفجير قوة التأثير والرغبة في التعبير عن المعطى التاريخي لينقل أن ما تم تاريخيا وعززه الحلم تخييلا يمكن إعادته كواقع لأن كثيرا من الحقائق المعيشة كانت حلما قبل وقوعها. .فالوعي بالتغيير قد اتخذ من فضاء الحلم حلا للوصول إلى الغاية، فكان هذا التوظيف للحلم المرهون بالزمن الماضي انطلاقة سردية تعزز من فعل التعالق المعلن عبر حركة ارتداد نحو التاريخي والامتداد نحو الاستشراف المستقبلي.

وتتعالق-على مستوى الحلم أيضا- شخصية الأمير مع التوحيدي وابن عربي بالتفاتة تترجم خلجات الوعي بالتاريخي مقابل الوعي الآني الذي أراد واسيني الأعرج أن يستنطقه من رؤيا الأمير وهو يتشارك حمولته مع شخصيات تاريخية صوفية، ليحيل إلى تلك القناعة الروحية التي تزود بها القوم لمواجهة الصعاب، والتي كانت ملاذا في إيجاد المخرج والنفاذ "يشعل النار عاليا في كتبه ،ثم يجلس قبالتها ويتأمل ألسنتها وهي تتصاعد عاليا...ثم رأى في غفوته ثانيا التوحيدي يأخذ سطل الماء البارد ليطفئ النار الأخرى التي تشعل بداخله آثار الخيبة...ثم رأى في غفوة أخرى ابن عربي وهو يبحث عن مكان صغير له يختبئ فيه من صهد الشموس التي كانت تحرق الأخضر واليابس"[2]،إن هذا التوظيف للشخصيات أسعف حركة السرد حين مدها بحركية تصاعدية في الرواية؛ بتوثيق تجربة فنية استنادا إلى معطيات تاريخية من شأنها أن تعيد ترتيب الواعي بالحاضر.

---

[1]-الرواية،ص429.

[2]-الرواية، ص516.

2-عز الدين جلاوجي أدب المحنة ومسالك التراث:

الحديث عن المأساة الوطنية وتجلياتها في النص الإبداعي عند جلاوجي يحيل إلى بيان المشهد الروائي الجزائري في صلته بالراهن،إذ كان للروائي فضل السبق في طرق أدب باب المحنة في رواية الأزمة فكانت رواية"رأس المحنة"[1] أكبر أنموذج لذلك.

2-1-آلية الارتداد والامتداد في رأس المحنة لجلاوجي:

رأس المحنة بهذه الصيغة الشعبية عنون عز الدين جلاوجي أحداث روايته التي عالجت موضوع المحنة الوطنية برؤية تخيلية جمالية تأسست على فعل الارتداد إلى الموروث أين سيتم الاستناد إلى إحدى بناه النصية في نسج حبكته، ثم الاتجاه بها في حركة امتدادية تضع دلالة واقع وطن عاش حالة من التشوه السياسي والاديولوجي والاجتماعي، برصد تفاصيل أحداث سجلت إيقاعا من الاضطراب و التمرد ثم العودة إلى التوازن بتوظيف"كل الطاقات الفنية المتاحة لتقوية البعد الدرامي وتعميق الوعي بالذات والواقع المعيش، وكذا تأكيد الهوية من خلال الانكسارات الاجتماعية والثقافية والسياسية لواقع الشخصية الروائية" [2].

انطلق جلاوجي من وعي بالواقع وتناقضاته ، الذي فجر أزمة وطن متعددة الأبعاد، فكانت الرواية ردة فعل على هذا الواقع المتردي.

2-1-1-**العنوان وإستراتيجية الارتداد**:

رأس المحنة عنوان يحفر بمرجعيته في عمق الذاكرة الشعبية الجزائرية، لقصيدة شعبية ملحونة "كتبها لخضر بن مخلوف (1479-1581) وعنونها ب(راس المحنة) أو(راس بن آدم) وموضوعها رحلة خرافية يقوم بها ولي صالح فيصادف جمجمة إنسان فيدخل معها في حوار يصور التحولات التي تعتري وجود الإنسان في حياته وبعد موته، تصور تقلبات المجتمع وتقلبات البشر، ومصير الإنسان بينها جميعا:

جيت أنسألك وأنتايا ترد جوابي...حشمتك بالله ياراس جاوبني

---

[1]-عز الدين جلاوجي،(2002)،رأس المحنة،دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر.

[2]-عبد الحميد هيمة،(2006)،علامات في الإبداع الجزائري،ط1،رابطة أهل القلم سطيف-الجزائر ج2، ص111 .

هذا برك ولا جيت براني..ياراس المحنة بالله كلمني"[1]

إن هذه الأسطورة الشعرية الجزائرية، هي عبارة عن حوار بين ذات حية واعية وجمجمة أصبحت أثرا بعد عين بدلالاتها المتوارية خلف هذه الأيقونة، وفق مجموعة من الأطروحات حول جنايتها، وما سبب هذه النهاية أهو المكر أم الظلم...؟؟

فيأتي جلاوجي ليستحضر مع القارئ كل هذه التساؤلات حين يذبح أحد شخوص النص"صلاح الدين...رأس صلاح يتدحرج أمامي"[2]، فكان لهذه الآلية التعالقية أن جعلت من هذه الأسطورة معادلا موضوعيا لراهن مجتمع انتهكت فيه حرمة الإنسان وقدسيته حيا وميتا ،فصار ألهية تعبث بها أيادي المفسدين.. فرأس (صلاح الدين) الذي عكس حقيقة ذات أسيرة للفراغ واللاوعي الفكري كان أنموذجا مصغرا لمجتمع اهتزت أركانه و عصفت به رياح الفساد كما عصفت المياه الجارفة بجمجمة لخضر بن مخلوف.

لقد كان الاعتماد على تقنية الارتداد لإضاءة راهن واقع بمأساويته تزودا من عبر هذا الماضي وقناعة من جلاوجي أن مسالك الخلاص ستتحقق كما تحققت من قبل ولو أملا؛ فالكاتب"لا يكرر الماضي بطريقة الاجترار والتكرار،و لكن الحقيقة هي أنه يحمّل الماضي دلالات جديدة،إنه يهرب من الحاضر إلى الماضي مستعيرا منه اللحظة التاريخية السابقة لينتقد بها اللحظة الراهنة"[3].

2-1-2-المكون السردي في رأس المحنة:

تتوزع الرواية على مدخل وستة فصول؛ كل فصل يحمل عنوانا يوحي بأحداث الرواية، بلغة شاعرية تتناص بطريقة خفية مع أحداث القصيدة الأسطورة إن على مستوى الملفوظات الشعرية التي وردت في شكل تساؤلات كتساؤلات القصة الأسطورة التي استهلت بها الرواية في مدخلها الذي عنون بالشرفة الأولى والتي تعكس راهن الانحطاط الذي تعايشه حارة الحفرة:

"أنى للحب أن يشرق وسحائب الدم مازالت تهدر حوله؟

كيف يمكن للقلوب أن تعشق وتقتل في الوقت ذاته؟

---

[1]-عاشور فني،راس المحنة النص الكامل http/Fenni-dz.net،28-04-2015

[2]- عز الدين جلاوجي،رأس المحنة،ص221.

[3]-عبد الحميد هيمة،علامات في الإبداع الجزائري،ص87.

من يقدر على ارتداء فستان الفرح في أزقة الجماجم؟"[1].

كما تلونت الشخصيات التي تنوعت بين شخصيات وطنية تتسلح بالحب والوفاء والغيرة على الدين والوطن؛ كشخصية(صالح الرصاصة المجاهد المعروف وابن الشهيد الذي أطلق عليه المجاهدون لقب صالح الرصاصة لبلائه واستبساله في مقاومة الاحتلال، ولكنه يهان ويهمش ويتحول إلى صالح المغبون ثم صالح المجنون"[2]، أوصورة الجازية(هذا الرمز التراثي) المعادل للأمل والذي ستأخذ الأحداث بمواقفها حالة توازن يبعث الأمل من جديد، فحين خاطبها صالح الرصاصة قائلا: "لا تخافي يا الجازية، يا أمل الجميع..غدا يا الجازية ستشرقين بلون القوزح على حارة الحفرة لتغدو ربوة ذات قرار متين"[3].

كما أن ثمة شخصيات تمتلك النفوذ لكنها لا تسعى إلا لإرضاء مصالحها على حساب حقوق الوطن(حارة الخفرة)، كشخصية رئيس البلدية، ورئيس المستشفى وهما شخصيتان فاعلتان في تأجيج الرؤية الجلاوجية وتجسيد مرمى مقصدياتها من الفساد.

وعمدت الرواية في بنائها الفني الإصغاء إلى كل الشخصيات فتعددت أصواتها وتمازجت رؤاها بين الشخصيات الوطنية الحالمة بواقع أفضل، وشخصيات متسلقة على أحلام أصحاب السلطة القهرية.

كما استند جلاوجي في برنامجه السردي في أسماء شخصياته بل وأفعالها على التراث؛ فهذه(الجازية) وذلك(ذياب الهلالي) وتلك(عبلة الحلوة)..وهي شخصيات تحضر بالدلالة ذاتها في التراث،وهي الخاصية التي أشار إليها بيير زيما التي تشكل"بنى دلالية كامنة خلف الخطاب تنطوي على المصالح الاجتماعية وفي الوقت نفسه تحدد الاتجاه العام لمسار النص السردي"[4]، هذا المسار الذي ترسمه الرواية كما ترسمه الذات المستقبلة للنص.

إن رواية رأس المحنة قد أفلحت في نقل الواقع الجزائري في عشريته السوداء عبر رؤية سوسيونصية ؛ حيث أفلح جلاوجي طرح البديل و أعطى مخرجا للتغيير إذ أبرز:

---

[1]-الرواية،ص11.

[2]-عبد الحميد هيمة،علامات في الإبداع الجزائري،ص89.

[3]-الرواية،ص21.

[4]-بيير زيما،النقد الاجتماعي،ص26.

1. طرفا النزاع في المجتمع ممثلان في(صالح الرصاصة،الجازية، ذياب)، والسلطة الممثلة في(مدير المستشفى،رئيس البلدية) فشكلا وجه الصراع.
2. احتدام الصراع إلى أوجّه وانبعاث خيوط الخلاص؛ كقول أمحمد أملمد"أولاد الكلب سأشتريكم جميعا بمالي...الكل تحت جبروتي...أنتم وهذا الوطن الذي ضحيتم من أجله"[1].

رغم هذا تتسلل خيوط الأمل في هذا الواقع المأساوي من خلال اقتراح بديل للنهوض في وجه المستبد، فهاهي الجازية رمز الوطن تصف المشهد"حين دخلنا إلى حارة الحفرة وجدناها انقلبت رأسا على عقب؛ الشبان يحملون العصا والحجارة...الدخان يملأ الفضاء...سخط يتشعبن من ملامح الجميع"[2] ،إنها دعوة للخروج من عباءة القهر والاستبداد إلى فعل المواجهة..فكان لإستراتيجية السرد أن استخدمت كل الطاقات الفنية المتاحة لتقوية البعد الدرامي وتعميق الوعي بالذات وبالواقع المعيش[3].

3-وهنا كان للبرنامج السردي أن أحدث خيبة في أفق التوقع لدى المتلقي؛ فبعد فعل التحول السردي للأحداث نحو الانفراج، نجد البطل صالح الرصاصة يعود إلى القرية- فارا من المدينة وحمولتها الدلالية- يبحث في الذاكرة عن الاستقرار والسكينة.

فكان للرواية أن شخصت الواقع عن طريق عرض لأحداث الشخصيات عبر الإمساك بفترة تاريخية شكلت بفعل التعالق رؤية فنية فريدة.

الخاتمة:

انطلق البناء السوسيو نصي للرواية الجزائرية المعاصرة من البناء الاجتماعي للواقع المعيش، واتكأ في بعض آلياته على البناء الاجتماعي للحكاية التراثية لأجل انتقاد المظاهر السلبية في المجتمع واسترجاع القيم المثالية من المجتمع التخييلي حتى يتم غرسها من جديد في الواقع لغرض التغيير.

---

[1]-الرواية ،ص50.

[2]-الرواية248.

[3]-عبد الحميد هيمة،علامات في الإبداع الجزائري،ص111.

لقد أفلح واسيني الأعرج وعز الدين جلاوجي في الكشف عن راهن المجتمع الجزائري بطريقة فنية أحدثت تواصلا مع متلق استوعب حقيقة راهنه المعيش بطريقة جمالية وهو ما يسعفه بإعادة ترتيب راهنه برؤية عملية أكثر.

ويمكن إجمال أهم نتائج الورقة البحثية في النقاط التالية:

- برزت البنية السوسيونصية في الرواية الجديدة عبر استراتيجية التعالق مع الموروث الشعبي أين أستقى الروائي الجزائري مادتها من الحكايات التراثية بغرض إحداث لغة تواصلية مع المتلقي،وهنا تظهر الصنعة التخييلية للمبدع، وقدرته التصويرية في التعبير عن أفكاره.
- يعد واسيني الأعرج من أبرز الروائيين الجزائريين الذين أحسنوا توظيف التعالق لإظهار إشكالات الواقع؛ حيث أفلح في إيجاد التفاعل بين طروحات شعبية بمرجعياتها الاديولوجية المختلفة ونصوص تاريخية شكلت لحمة نصوصه التخييلية، وهو ما أعطى لرواياته مشروعية التأويل وانفتاح المعنى.
- -لم يكن واسيني الأعرج ساردا تاريخيا، وإنما انطلق منطلق نقدي عبر فعل استرجاعي في الذاكرة التاريخية والتراثية لتمرير رسالته الاديولوجية عبر سرد تخييلي حامل لمعاني جديدة.
- أعادت الرواية عند جلاوجي قراءة الواقع بلغة مناسبة بأبعاد رمزية ورؤية شمولية في مختلف القضايا التي سادت فترة الأزمة الوطنية أين الإحساس بالضياع؛ ضياع الذات ،الهوية..الوطن، فجاءت رواياته لتقف على هذه الأحداث وفق رؤية فنية جمالية أحسنت توصيف الراهن وسعت لإيجاد منافذ له، استئناسا بالموروث وتجاربه.
- -استطاعت الرواية الجزائرية المعاصرة أن تحدث ردة فعل على إملاءات الواقع بلغة جمالية رامزة وبرنامج سردي حقق الائتلاف عبر مظاهر اختلاف انفتحت على باب التأويل.

قائمة المصادر و المراجع ;

1-المصادر:

-عز الدين جلاوجي،(2002)،رأس المحنة،دار المنتهى للطباعة والنشر المعلم والتوزيع الجزائر.

-واسيني الأعرج ،(2008)، كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، ط2، دار الأدب للتوزيع والنشر بيروت-لبنان.

2-المراجع:

-حميد الحمداني،(1984)، من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية رواية علي نموذجا،منشورات الجامعة،السلسلة الأدبية 3ع.

-صلاح أحمد،(2008)، علم اجتماع النص الأدبي،مفاهيم نظرية وأدوات منهجية،مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكريةع43.

-عاشور فني،راس المحنة النص الكامل http/Fenni-dz.net،2015-04-28

-عبد الحميد هيمة،(2006)،علامات في الإبداع الجزائري،ط1،رابطة أهل القلم سطيف-الجزائر ج2

-عبد الله بن صفية ،(2016-2017)، المتخيل التاريخي في الرواية الجزائرية،جدلية المرجع والمنجز التاريخي،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم،جامعة باتنة1.

-عيسى ناصر ،واسيني الأعرج يعيد كتابة التاريخ روائيا.http//b.logs.aljazeera، 7/12/2017.

-فيليب هامون،(1990)،سميولوجيا الشخصيات الروائية،تر سعيد بن كراد،دار الكلام الرباط المغرب.

-لمين بحري،دلالات الأنساق الثقافية لمنظومة الوقائع التخييلية في رواية ما بعد التسعينيات للطاهر وطار،صhttp//ouvrages du crasc.dz4

-نجوى منصوري،(2011-2012)، الموروث السردي في الرواية الجزائرية،روايات الطاهر وطارو واسيني الأعرج نموذجا-مقاربة تحليلية تأويلية،أطروحة دكتوراه (مخطوط)،جامعة باتنة 1.

list of sources and references

1-Sources:

- Ezz El-Din Jalawji, (2002), Ras Al-Mahna, Dar Al-Muntaha for Printing, Publishing, Al-Moallem and Distribution, Algeria.
- Wasini Al-Araj, (2008), The Book of the Prince, Paths of the Gates of Iron, 2nd Edition, Dar Al-Adab for Distribution and Publishing, Beirut-Lebanon

2- References:

- Hamid Al-Hamdani, (1984), for a sociological analysis of the novel, Ali as a Model, University Publications, Literary Series
- Salah Ahmed, (2008), Sociology of the Literary Text, Theoretical Concepts and Methodological Tools, Generation Journal for Literary and Intellectual Studies, p. 43
-Ashour Fenni, Ras al-Mahna, full text, http/Fenni-dz.net, 04/28/2015
-Abdel-Hamid Heima, (2006), Signs in Algerian Creativity, 1st Edition, Association of the People of the Pen, Setif - Algeria, Part 2
-Abdullah bin Safia, (2016-2017), the historical imaginary in the Algerian novel, the dialectic of the reference and the historical achievement, a thesis submitted to obtain a doctorate of science degree, University of Batna 1.
-Issa Nasser, Wasini Al-Araj rewrites history as a novelist, http://b.logs.aljazeera., 7/12/2017.
-- Philip Hamon, (1990), The Semiology of Novel Characters, Ter Said Ben Karad, Dar Al Kalam, Rabat, Morocco.
Lamine Bahri, Indications of the Cultural Patterns of the System of Fictitious Realities in the Post-Nineties Novel by Al-Taher Wattar, p. 4 http://ouvrages du crasc.dz
- Najwa Mansouri, (2011-2012), the narrative heritage in the Algerian novel, the novels of Al-Taher, Tar and Wasini Al-Araj as a model - an analytical and interpretive approach, PhD thesis (manuscript), University of Batna 1.